رسالة لم تصل (قصة حقيقية)

أُدعى مها وبعد شهور قليلة سوف أطفئ شمعة عيد ميلادي الثانية عشر، أعيش بين سفوح الجبال في قرية هجرها العديد منذ سنين ولم يبق فيها إلا عائلتي و البعض من الأقارب، أبي مقعد في السرير وأمي تجمع القوارير لتبيعها في آخر النهار مقابل دنانير قليلة لا تكفي حتى لقوتنا اليومي، أو لشراء ما تشتهي له نفسي، كبرت و كبرت معي العديد من الأحلام والأماني، أحلم أن يصبح لي شأن كبير في بلدي وأن أصبح غنية لأرمم بيتنا، سأصبح دكتورة وسأريح أبي من إعاقته وأمسح له بعض الدمعات التي لطالما أدمت قلبي ومزقت روحي، سأجعل من أمي ملكة في بيتها وأحقق لها حلمها بزيارة بيت الله الحرام، سأسعى جاهدة لشفاء أخي الأكبر من إدمانه والتخلص من الإبر المخدرة التي نخرت كل جزء من بدنه. لكي يتحقق كل هذا أتمنى حلماً واحداً به

أستطيع أن أعانق طيف أمنياتي، حلمي أن يتم بناء مدرسة في قريتنا الجبلية، فمدرستي الحالية تبعد العشرات من الكيلومترات، وطريقها شاق و مرهق، وحذائي المرقع قريباً سوف يتخلى عني، والذئب يتربص بي صباحاً ومساء، الموت يحوم حولي من كل الاتجاهات، لا أريد أن يكون مصيري مثل مصير نساء قريتي اللواتي تركن دراستهن وتزوجن وهن لم يتجاوزن الخامسة عشر وأصبحن خادمات في بيوت أزواجهن، لن أقدر أن أتخلى عن كتابي ولا الرقص مع حروفه وكلماته، من حقي أن أعيش حياة كريمة وأن أتعلم وأدرس، أنقذوا طيف أمنياتي ولا تجعلوا زهرة حياتي تذبل بين أحضان رجل سكير تقدم لخطبتي.

كتبت مها هذه الرسالة بقلبٍ دامٍ وسبقت دموع عينيها الزرقاوين حبر قلمها، ووضعتها داخل حقيبتها المرقعة واتجهت صوب مدرستها آملة أنها سوف تقدمها لأحد السياسيين الذي وعد أنه سوف يزور قريتهم الجبلية.

خرجت حافية القدمين فحذاؤها فنيَ وأصبح أشلاء داخل القمامة.

شقت الصبية طريقها الجبلي وكلها أمل بغد أفضل، برهة من الزمن تلبّدت السماء بالغيوم ونزلت الأمطار كأفواه القرب وتجمعت السحب ولم تنقشع ولم تزدد الأمطار إلاّ شدّة، وازدادت قرقعة الرعد وألهب البرق واستشرى وأغدقت السماء وجادت وعصفت الريح وثارت وتدفّق السيل، وارتعدت أوصال البنية وارتجفت داخل ثيابها الممزقة، سقطت الأشجار جثثاً هامدة وسالت الأودية وأصبحت نزيفاً خارج أوعية المسالك الجبلية.

بعد سوعيات هدأت العاصفة الهوجاء وجف نزيف الأرض القاحلة وتسربت معه آخر قطرات الندى وتسربت معها أمنيات مها واختلط حبر رسالتها بدمائها الطاهرة ولم تعد تسمع إلا عواء الذئب المتحسر على فريسته التي كان يتربص بها منذ سنين.

****